شاعر مجهول

للأستاذ حسني كنعان

لقيني بالأمس القريب صديق فاضل من أسرة الجندي الدمشقية فقال لي فيما قال :

— لقد أنكرت فضل الرجل وما عرفت له حقه . قلت :

— أي رجل تعني . . ؟ قال :

— أعني حميد أسرتنا وشاعر سورية المجلي « الشيخ أمين الجندي » . . إن جميع ما ذكرته من موشحات وقدود وأشعار في فصل إسق العطاش الذي نشرته في الرسالة الغراء منذ أمد عي من نظمه ، فقطعة يا غزالي كيف عني أبعدوك ، وتيمتني هيفتني عن سواها شغلتني ، واسق العطاش تكرماً . . هي من نظمه . .

فلماذا لا تطلعني على مقالك قبل نشره في الرسالة ليكون بحثك كاملا من كل جهاته . . ؟ قلت :

— كيف أستطيع أن أتأكد من ذلك . . ؟ قال :

— أنا أطلعك على ديوان له مطبوع قد حوى في طياته هذه اللطائف والرقائق . . وكنت أسمع عن هذا الشاعر الشيء الكثير ولكني مع الأسف الشديد لم أقع على ديوانه . فألفيتها فرصة سانحة أن يعرض على أحدهم هذا العرض الذي وافق هوى في نفسي التواقة إليه ، وذلك أملا في أن أنصف الرجل . . مضت مدة من الزمن دون أن يفي هذا الصديق بوعده ، فذكرت ذلك لصديق آخر من أفراد هذه الأسرة وهو المحامي السيد « تاج الدين » الجندي نجل العلامة الشيخ سليم الجندي أستاذ الطنطاوي ، والأفغاني ، والجيرودي ، والعطار ، وصاحب محاضرة المعري التي أعجبت الأستاذين الجليلين معالي طه حسين باشا وصاحب العزة أحمد أمين بك في المهرجان الألفي للشاعر المعري . .

فأخذني نجل علامتنا إلى مكتبه ، ودفع إلي الديوان للاطلاع عليه . . . فعكفت على دراسته عكوف الهائم الولهان . فوجدت فيه من الدرر واللآلئ ما يصلح أن أحلي جيد هذه الصحيفة به . فالديوان يحوي قدودا وموشحات وأشعارا غزلية وصوفية كنا هائمين بها ومعجبين بقائلها قبل أن نعرف مصادرها ومواطنها . . وبقدر اطلاعنا على هذا الديوان الفذ ازددنا عجباً وإكباراً لهذا الشاعر . وها أنا ذا إظهارا للحقائق وتمشيا مع السنة التي درجت عليها من إحياء ذكرى الأعلام في ربوعنا في هذه الصحيفة التي فتحت صدرها لمثل هذه البحوث ، وعودتنا على طرق بابها ، دون أن توصده في وجه من يبغي نشر فضائل بني قومه من الأعلام المجهولين . . جئت مقدما شاعرنا المجهول المغمور الحق بهذه المقدمة الموجزة . .

الشيخ أمين الجندي شاعر مطبوع . ولد بمدينة حمص سنة ١١٨٠ ولقد جاء في مقدمة ديوانه ما ننقله بالحرف الواحد بلغة أهل ذلك العصر . .

هو عالم زمانه وشاعر عصره ، الحسيب النسيب ، مداح المختار الحبيب ، الشيخ أمين بن خالد أفا الجندي العباسي . وبعد أن تلقى علومه في حمص على خيرة علمائها توجه إلى دمشق وقرأ على علمائها

« فالبلاشفة يعتبرون نفوسهم حراسا لمصالح الشعوب وحريتها الوطنية واستقلالها وثقافتها المادية (الاقتصادية) والروحية (العقلية) ، ويجاهدون ضد الإنقاص من قدر حرمة هذه الشعوب الوطنية وفنونها » . وقد استشهد على هذا بقول ستالين بأن الشعوب السوفياتية تعتقد بأن لكل أمة ، كبيرة كانت أم صغيرة ، مميزاتها الخاصة والتي لا توجد في أية أمة أخرى ، وأن هذه الميزات التي تتمتع بها كل أمة تزيد في تراث الثقافة العالمية العام وتغنيه . ولهذا فإن جميع الأمم تتساوى من هذا القبيل بعضها ببعض . فكل محاولة والحالة هذه للحط من الكرامة الوطنية لأي شعب من الشعوب ، أو لاستثمار حقوق هذه الشعوب التاريخية ، بما في ذلك ثقافة هذه الشعوب ، يجب شجبه شجبا حاسما كما هو الحال في الاتحاد السوفيتي . ثم يختم كلامه بقوله : « إن لقضايا الميراث الأدبي أهمية حيوية ، فيجب إذن أن لا يفسح المجال لأي سوء تفاهم من هذا القبيل . كما أنه من الضروري أن يفهم أن الرجعيين يستخدمون قضايا كهذه في جميع المناسبات والأمور »

ساكر الربعي

الأعلام وأخذ الأوزان الشعرية من الشيخ عمر الباقي ، ولما رأى فيه هذا الذكاء النادر قال له :

إذهب فأنت أشعر أهل الغرام. فصار الشعر فيه سجية والبلاغة له عطية ، يرسم القصائد الفريدة والموشحات المفيدة والواليات العديدة، بحيث لم يكن يمضي عليه يوم يخلو فيه من نظم ونثر اه إلى آخر ما هنا لك من أقوال كثيرة وردت في المقدمة عسك عن الاسترسال بسردها لئلا يمل القارئ وكلها على هذا النمط من مدح وثناء . والشيء المهم في هذا الديوان أن الشاعر كان معاصراً للقائد الكبير إبراهيم باشا قائد الحملة المصرية ، وفاتح سورية ولبنان وغيرهما من البلاد العربية . ولقد عثرت في الديوان على مقطوعة مدح بها هذا الفاتح العظيم بقوله له :

توق ابتسام الليث في موقف الخطر ... وخف باسمه إن غاب يوما أو حضر
وكن بطلا شهما شجاعا ولا تكن ... جبانا جزوعا قاصر الباع والنظر
فإن الجبان الوغد ما بين قومه ... يعيش ذليلا سيء الحال محتقر
ولسنا إذن في دولة قيصرية ... ولا أهل ملك كسروى كما اشتهر
ومن مصر مذ سرنا بأمر عزيزها
كشفنا ظلام الجور والبغي والضرر
«وبارودنا» كالبرق والرعد لم تزل ... صواعقه ترمي وتحرق بالشرر
وكم حافر بئرا ليوقعنا به ... فخاب وأمسى واقعا بالذي حفر
ومسعر نار للعناد وعندنا ... بحار لها تطفى وتغرق من سعر
ولكننا في عز دين مؤيد ... وشرع بوحي جاء من سيد البشر
وإنا بحمد الله في خير دولة ... لوا عزها في الخافقين قد انتشر
ومنا سيوف للمنايا تجردت ... على عنق الأعداء بل أسهم القدر
وليس كإبراهيم في موقف الوغا ... هزبر يرى الأهداء حلما إذا اقتدر
همام تهاب الأسد سطوة بأسه ... وترجف منه الراسيات إذا زأر
له همة في الحرب أنحت علية ... وعزم يقد الصلد والصارم الذكر
به ملة الإسلام عزت فأصبحت ... متوجة بالعدل والأمن والظفر
وأذكى صلاة الله ثم سلامه ... على خير مبعوث إلى الخلق من مضر
فلا زلت في عز العزيز الذي غدا ... لأهل الملا شهما وأنت لهم قمر
مدى الدهر ما «الجندي» أنشد قائلا ... توق ابتسام الليث في موقف الخطر

فنالت هذه القصيدة حظوة في عين القائد المصري المتيد وقرب صاحبها إليه وجعله في بطانته ، ولقد أفسحت هذه الحظوة المجال أمام الجندي الشاعر ، وغدا كبيرا في أعين الدمشقية بين قومه ، وصار يقصده علية القوم وسراتهم لقضاء حاجاتهم عند الباشا الفاتح ، وأوقف شعره في هذه المرحلة على مديح الباشا متكسبا على غرار ما كان يفعله أبو الطيب المتنبي مع سيف الدولة. وقد غدا أتبع إليه من ظله ، يصحبه معه للدعاية في كل قطر حل به فطمعه هذا العطف الأريحي به ، وجعل شعره في هذه الرحلات مقتصرا على مديحه والدعاية له ، فوجد الفاتح في هذا الداعية المطبوع على الشعر خير نصير له في إظهار عظمته ، فزاد في إكرامه وإعزازه ، وصار يصحبه في روحانه وجيئاته ، وكان كلما قدم إلى دمشق أو رحل عنها متنقلا في أنحاء دولته المترامية الأطراف، التي أقام دعائمها على الأسلات والشقرات، رأى الجندي في ذلك الفرص السانحة لإسماعه فيه ما يرغب ، وما يرهب به الخصوم ، ويفت في سواعدهم من الظهور أمامهم بهذه الأماديح الخالدة بظهور الفاتح المرضي عنه التي يعيده شعبه وتفتديه رعاياه وتفديه بأرواحها ، ومما قاله فيه بعد وصوله إلى دمشق قادما من قونية وهو معه سنة ١٢٤٨ هـ وكان قد فتح عكا، ودك حصونها وقلاعها دكا : قال في ذلك

نحن الأسود الكاسره ... نحن السيوف الباتره
من أرض مصر القاهره ... سرنا وقد نلنا المنى

* * *

بارودنا شراره ... تشوى الوجوه ناره
وعزمنا بتاره ... من العدا أمكننا

* * *

نحن بنو الحرب فلا ... نخشى غبارا إن علا
ولم نضق عن البلا ... صدرا إذا الموت دنا

* * *

عاداتنا أخذ الرجال ... بالبيض والسمر العوالي
وثارنا بالاشتعال ... لهيبها بيدي السفا

* * *

جهادنا لا ينكر ... في كل قطر يذكر

وســـيفنا إذ يشـهر للنصر يبـدى معـلنا

* * *

« أبو خليل » فى الحروب لا زال كشاف الكروب
وحيف يدعى الركوب بالبيض يغزو والقنا

* * *

لما غزونا عكا « بالطوب »(١) دكت دكا
وللأعادى أبكى مجومنا وأخذنا

* * *

صبحا علونا سورها وقد هدمنا دورها
أما ترى قصورها قد حلها هدم البنا

* * *

ويوم حمص لو ترى على المداة ما جرى
وقد علا فوق الثرى صرعى يقاسون الفنا

* * *

هناك أضحوا هالكين وفى دماهم غارقين
وانحل عقد الظالمين وحل بالباغى العنا

* * *

والحماة مع حلب سرنا وجد بنا الطلب
ولم نجد ممن هرب إلا طريحا فى ضنى

* * *

وقد أطلنا قهرهم لما أسرنا صدرهم
ومن ولينا أمرهم بالذل مالوا نحونا

* * *

هذا وهذا كله عزيز مصر أصله
وليس يخفى فضله دوما على أهل الثنا

* * *

فنسأل الله المعين بحرمة الهادى الأمين
يديمه للمسلمين مولى مغيثا محسنا

أما القصيدة الأولى فلقد نقلتها من الديوان منتخبا منها هذه الأبيات المنشورة آنفا ومطلعها : توق ابتسام الليث إلى آخر الأبيات . وأما القصيدة الثانية : نحن الأسود الكاسره

(١) الطوب : المدفع بالتركية

فلقد أتحفنى بها العلامة الشيخ جميل الشطى مفتى الحنابلة بدمشق منذ علم أنى أعد فصلا للرسالة عن هذا الشاعر المجهول .. والقصيدة مدونة عنده منذ القديم ومنشورة فى كتاب له .. ولقد جاء فى نهاية هذه الحادثة أن الشاعر كوفئ عليها من الباشا بـ ١٠٠ ليرة عثمانية ذهبا ، وكان لها وقع عظيم لدى الباشا الممدوح. وفى الديوان قصائد كثيرة منها قصيدة يمدح بها محمد على باشا الكبير مؤسس الأسرة العلوية وباعث نهضة مصر الحديثة. ترجى نشرها فى عدد قادم يأتى ، لأن ديوانا يحوى على ٤٥٠ صفحة لا يمكن أخذ فكرة عن صاحبه فى مقال واحد . . فإلى اللقاء يا عزيزى القارئ فى العدد القادم

دمشق حسنى كنعان

ظهر اليوم :

المجلد الخامس من :

معجم مقاييس اللغة

لابن فارس

وهو المعجم الوحيد الذى يطبق قاعدة القياس القياس اللغوى فى إحكام وإمتاع ، كما أنه أول معجم ينشر نشراً علميا دقيقاً مضبوطاً مذيلاً بتحقيقات وتصحيحات لغوية نادرة

للاستاذ عبد السلام هارون

الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم

يطلب من دار إحياء الكتب العربية

عيسى البابى الحلبى وشركاه

صندوق بريد الغورية رقم ٢٦ — ت ٨٥٦٠

ثمن المجلد الواحد ٣٥ قرشاً صافياً

(مدة الطبع فقط)